

منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً)

خليفة مصطفى غرابية*

ملخص

ابن أبي الربيع عالم عربي إسلامي من العصر العباسي، ألف كتابه الوحيد "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال" للخليفة العباسي المعتصم بالله (218-227هـ/ 833-842)، وهو كتاب مُشجّر، متنوع في موضوعاته السياسية، والاجتماعية، والفلسفية، والرياضيات، وتخطيط المدن، التي تم عرضها بإطار إسلامي.

تهدف هذه الدراسة التعرف إلى منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية عند ابن أبي الربيع باعتباره من العلماء الأوائل الذين وضعوا حجر الأساس لهذه المنهجية، وكما جاءت في الفصل الرابع من كتابه عن شروط اختيار مواقع المدن (الورقة 33ب)، وشروط تخطيط مواضع المدن (ورقة 34ب).

ولتحقيق أهداف الدراسة اتبع الباحث المنهج التحليلي في دراسة هذه الشروط، ومعرفة مدى اقترابها من منهجية الفكر الإسلامي، من خلال دراسة مواقع ومواضع بعض المدن العربية الإسلامية التي تم تأسيسها في فترات مختلفة في الدولة الإسلامية، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أكدت على المنهجية الواضحة في تخطيط المدينة العربية الإسلامية، التي كانت تركز على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في تأسيس المكونات العمرانية لهذه المدن، كما تضمنت الدراسة توصيات تُشير إلى أهمية العودة إلى هذه المنهجية في مدننا المعاصرة.

الكلمات الدالة : الفكر الإسلامي، تخطيط المدينة، ابن أبي الربيع، الموقع، الموضع، المدينة العربية الإسلامية، الاستدامة.

المقدمة

الإسلامية التي امتدت لقرون عديدة، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من أواسط آسيا شرقاً، إلى الأندلس (إسبانيا) غرباً، ومن بلاد البلقان شمالاً، إلى أواسط إفريقيا جنوباً لتشمل ثلث مساحة العالم القديم تقريباً.

وقد انقسم العلماء الغربيون الذين درسوا المدينة العربية الإسلامية إلى فريقين:

- فريق يرى بأن الإسلام وراء تكوين حضارة عربية إسلامية، وإنشاء مدن عربية إسلامية بمنهجية متميزة مصدرها الفكر الإسلامي الذي تراكم لقرون عديدة.
- وفريق آخر يرى العكس تماماً، كما سنناقش هذا الموضوع لاحقاً.

أما بالنسبة للعلماء العرب والمسلمين فيمكن القول بأن ابن أبي الربيع هو من طلائع من كتب في أسس وشروط اختيار موقع المدينة العربية الإسلامية Location، وشروط تخطيط

برع العرب المسلمون في مختلف العلوم لقرون عديدة وخاصة الفترة الممتدة من بداية قيام الدولة الإسلامية الأولى حتى سقوط الخلافة العباسية، وكان لتخطيط المدينة العربية الإسلامية اهتمام خاص من قبلهم، حيث بدأت تأخذ نمطاً مُميزاً في تخطيطها مع بدايات الدعوة إلى الإسلام، وقد شكّل الفكر الإسلامي المرجع الأساسي لتخطيط هذه المدن التي تم تأسيسها تباعاً مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فكثرت عددها، وتوسعت، وازدهرت، بتوسع وازدهار الحضارة العربية

* قسم العلوم الأساسية، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

تاريخ استلام البحث 2014/5/11 وتاريخ قبوله 2014/9/11.

مقارنة بعصور التمدّن السابقة، فيقول: "كانت الحضارة الإسلامية بين الصين والهند وبيزنطة والكيانات البربرية- من تركية وزنجية وعربية- وذلك خلال الفترة الواقعة بين نهاية الإمبراطوريات القديمة وحتى يقظة الدول العصرية، أقول كانت الحضارة الإسلامية في مجدها الأول عبارة عن بوتقة تاريخية وجغرافية، وعبارة عن مستوى تقاطع و لقاء، وعبارة عن ظرف زمني فسيح، أو عبارة عن موعد بطولي خارق" (لومبارد، 1998)، كما يقول: "شهدت منطقة العراق وهي مركز الخلافة العباسية نهضة عمرانية خارقة، ونذكر من بين هذه المد الكبرى بغداد، والبصرة، والكوفة، وواسط، وسامراء" (لومبارد، 1998).

وقد أفاض وأجاد علماء آخرون في ذكر دور الإسلام والحضارة الإسلامية في حركة التمدّن، وتخطيط المدن، نذكر منهم: جانيت أبو لغد Abu Lughod، وبينيت Benet⁽¹⁾.

وبالمقابل فإنّ هناك فريقاً آخر يُنكر هذا الدور الإيجابي للإسلام في محاولة هجومٍ فجّةٍ واضحةٍ لسلب المدينة العربية الإسلامية أصالتها وتجريدها من هويتها، والإقلال من شأنها كما نلاحظ في بحوث "سوفاجيه Sauvaget" عن مدن سوريا كحلب ودمشق واللاذقية، وكما في كتابات "جرونباوم Von Grunebaum" عن التركيب المعماري للمدينة الإسلامية، بل أنّ بعضهم ينظر في كتاباته في هذا الموضوع، فعلى سبيل المثال يرى "بلان هول Blanhol" أنّ الإسلام لم يكن مُشجّعاً أو دافعاً إيجابياً لحركة التمدّن، ومن ثمّ ينفي أي تأثير للإسلام على تكوين المدينة، ويُسانده في ذلك هاموند Hamond الذي يذكر بأنّ الحضارة الإسلامية كانت ضد حركة التمدّن، وستيرن Stern, S الذي يقول بأنّ المدينة الإسلامية تخلو من وجود المؤسسات لأن المجتمع الإسلامي لم يرث أيّاً من المؤسسات المدنية عن الحضارات القديمة اليونانية والرومانية، أمّا كلود كاهن Cahen, c فقد كان أكثر هذا الفريق تطرفاً وإمعاناً في تجريد المدينة الإسلامية من أي صفة مدنيّة حيث يقول: "إنّ الكثير من سمات ما يُسمّى المدينة الإسلامية في الواقع صفات وسمات المدينة البيزنطية والوسيطه وصفات المدينة الإيطالية قبل القرن 11"، بل ويرى أنّ من الخطأ أن يُطلق عليها مُسمّى "المدينة الإسلامية" وقال: الأخرى أن تُسمّىها "مدن دار الإسلام" (عثمان، 1988).

موضعها Site، حيث تبعه بعد ذلك علماء كثر -كما سنناقش لاحقاً- مثل: ابن حزم الأندلسي، وقدامة بن جعفر، والفيروزآبادي، والماوردي، وابن منظور، والمقدسي، والقزويني، وابن خلدون، وابن الأزرقي وغيرهم.

وفي المحصلة النهائية شهدت الدولة الإسلامية ومع توسّعها المضطرد تأسيس وتطوّر وازدهار المئات من المدن العربية الإسلامية التي تشابهت في منهجيتها المُستمدّة من العقيدة الإسلامية (الكتاب والسنة) ومصادر التشريع الإسلامي، وقيم الفكر الإسلامي وفي مقدّمها عدالة الحكم، وفي ظل الحكم الإسلامي العادل تأسست وازدهرت مدن تاريخية عديدة كالكوفة، وحلب، والبصرة، وبغداد، ودمشق، والقاهرة، والرقّة، والفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقيروان، وفاس، ومراكش، والمهدية، والجزائر، وغيرها، كما أوجدت الحضارة الإسلامية مدناً متحفية تُعبّر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها، ودمشق والقاهرة بعمارتها الإسلامية، وحلب، وبخارى، وسمرقند، ودلهي، وحيدر، آباد، وقندهار، وبلخ، وترمز، وغزنة، وبوزجان، وطليطلة، وقرطبة، وإشبيلية، ومرسية، وسراييفو، وأصفهان، وتبريز، ونيقيا، ومدن وادي فرغانة، وغيرها من المدن الإسلامية.

موضوع الدراسة وأهميته

صاحب انتشار وتوسّع الإسلام توسّعاً في تأسيس وازدهار العديد من المدن العربية الإسلامية في البلاد المفتوحة أو التي انضوت في الدولة الإسلامية، وقد ارتبطت هذه المدن (شكلاً ومضموناً) ارتباطاً وثيقاً وكاملاً بالإسلام، كمنهج وطريقة في الحياة، وأصبح الإسلام ونظمه وأحكامه هو المحور الأساسي الذي تدور حوله حياة المدينة بأسرها وبكل تفاصيلها وجُزئياتها، وبجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتخطيطها وتركيبها العمراني (عثمان، 1988).

وخير دليل على ما سبق اهتمام كثير من الباحثين (مسلمين وأجانب) بإبراز دور الإسلام في تاريخ التمدّن، وإظهار أثره الإيجابي على المدينة العربية الإسلامية من حيث مبناها ومعناها، وخير شاهدٍ على ذلك هو الكم الهائل من أقوال العالم الفرنسي موريس لومبارد M Lombard (1975) في كتبه العديدة عن دور الإسلام في حركة التمدّن والعمران

(Planning)، ومن الجدير بالذكر الإشارة هنا إلى أن العلماء العرب المسلمين قد سبقوا الجغرافيين الأمريكيين في التمييز بين الموقع والموضع للمدينة.

وعندما دبّ الضعف في جسم الدولة الإسلامية، بدأت المدينة العربية الإسلامية بالابتعاد عن الالتزام بهذه المنهجية مما أدى بالتالي إلى فقدان هويتها، وهنا تكمن مشكلة الدراسة التي تتمثل بالتعرّف على هذه المنهجية عند العلماء العرب المسلمين بشكل عام، وعند ابن أبي الربيع بشكل خاص، وذلك بالإجابة على مجموعة من التساؤلات أبرزها:

1. من هو ابن أبي الربيع؟ وما اسم كتابه، وما أهم موضوعات هذا الكتاب؟
2. لمن كتب ابن أبي الربيع كتابه "سلوك المالك في تدبير الممالك"؟
3. من هم العلماء العرب المسلمين الذين اهتموا في اختيار مواقع المدن (Situation) المدن العربية الإسلامية، وتخطيط مواضعها (Site)؟
4. ما أهم النظريات التي جاء بها العلماء العرب المسلمين في تخطيط المدينة العربية الإسلامية؟
5. ما هي المنهجية التي اعتمد عليها ابن أبي الربيع في تخطيطه للمدينة العربية الإسلامية؟
6. ما هي الشروط التي أشار إليها ابن أبي الربيع لتحقيق مبدأ الاستدامة (Sustainable) في بناء المدن العربية الإسلامية؟
7. ما هي المدن العربية الإسلامية التي تم تأسيسها في أقاليم الدولة الإسلامية المختلفة بمنهجية الفكر الإسلامي، وما مدى تطابقها مع منهجية ابن أبي الربيع؟
8. ما هي أبرز التوصيات التي يمكن تحقيقها من خلال هذه الدراسة؟

أهداف الدراسة

يسعى هذا البحث لتحقيق الهدف العام الآتي:
دراسة منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية عند ابن أبي الربيع باعتباره من العلماء الأوائل الذين وضعوا حجر الأساس لهذه المنهجية.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتؤكد على الأثر الفعال للإسلام الذي أرسى وعمق أصالة المدينة العربية الإسلامية، بل ورسخ قيمها ومورفولوجيتها التي هيأت مجتمعها تهيئة حضارية وفي توافق تام، شكل في النهاية منهجية واضحة لصورة المدينة الإسلامية ابتداءً من اختيار موقعها Location وتخطيط موضعها Site، مروراً بتخطيط استعمالات أرضها Land Use، وتركيبها الداخلي Internal Structure، وانتهاءً بتطورها ونضجها بشكل دقيق ومتناغم عمرانياً، وسكانياً، وبيئياً، وأمنياً، وثقافياً.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة في المساهمة - ولو نسبياً - في التأكيد على تميز الفكر الإسلامي في منهجيته العميقة والواضحة في تخطيط المدن العربية الإسلامية، والرد على كل الإدعاءات السلبيّة التي ذكرناها سابقاً⁽²⁾، لاسيما وأن الدراسات الهامة التي تعرّضت لتاريخ المدينة العالمي أهملت المدينة الإسلامية وأهميتها في ذلك التاريخ الممتد في المدينة، والذي يعكس بوضوح كيفية تطور حياة الإنسان.

وقد جاءت هذه الدراسة عن ابن أبي الربيع في مخطوطه: "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال" خير برهان على المنهجية الفريدة للفكر الإسلامي في تخطيطه للمدن العربية الإسلامية، هذه المنهجية التي شكّلت البدايات الأولى فأرسي قواعد ابن أبي الربيع، وتعمّقت تراكمياً عبر قرون عديدة شهدتها الحضارة العربية الإسلامية، حيث أورد علماء مسلمون آخرون أسساً في علم تخطيط المدن تكاد تتشابه إلى حد كبير مع ما أورده ابن أبي الربيع، فعلى سبيل المثال وبعد ابن أبي الربيع بستة قرون يعرض ابن خلدون وابن الأزرقي أفكاراً منطوية مستفيدة من التجربة، تتعلّق باختيار مواقع المدن وتخطيطها⁽³⁾.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تتناول الدراسة موضوع منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية، حيث يحاول الباحث التعرض للأسس العامة لهذه المنهجية في شروط اختيار موقع المدينة العربية الإسلامية، وأسلوب تخطيط موضعها (تركيبها الداخلي) Internal Structure، حيث كان العرب المسلمون يعتمدون منهجية متقدمة في التخطيط الحضري (Urban

- (ربيع، 1980).
2. ناجي التكريتي، الذي كتب عن الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع علاوة على تحقيقها (التكريتي، 1983).
 3. عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز آل سعود، حققه، وقابله على أصله، واعتنى بطباعته، ونشره (2010).
 4. أسعد السحمراني وأحمد عرموش، بالتقديم والدراسة علاوة على التحقيق (2011).
- ب. وَمِنْ الَّذِينَ كَتَبُوا عَنْهُ فِي كِتَابِهِمْ، أَوْ كَتَبُوا عَنْهُ مَقَالاً: حاجي خليفة (1942)، وإسماعيل البغدادي (1957)، واليان سركيس (1928)، وعمر كحالة (1957)، ومحمد عبدا لستار عثمان (1988)، وسعيد أمختاري⁽⁴⁾، وجرجي زيدان (1911)، وضرغام الدباغ⁽⁵⁾، وشيرواني Sherwani (1941).

وتنوّعت اهتمامات هذه الدراسات السابقة عن ابن أبي الربيع، فبعضهم كتب عن الفكر التربوي، وآخر عن الفكر السياسي، أو الإداري، وبعضها أشار إلى شروط اختيار مواقع المدن، وجاءت هذه الدراسة لتفصّل أكثر عن ابن أبي الربيع وأهميّة مخطوطه، وشروطه في تخطيط المدينة العربية الإسلامية، وعن حياته، وعصره واختلاف العلماء في ذلك، كما تعرضت بشكل موجز لنظريات العلماء المسلمين عن المدينة (مفهومها، وأسس نشأتها)، وضمّنت الدراسة بنتائج وتوصيات عامة يرى الباحث بأنّها تُشكّل إضافة جديدة عن هذا العالم ومخطوطه المشهور.

مجالات الدراسة وحدودها

التزم البحث في تحقيقه لأهدافه ومحتواه مجالان أساسيان هما:

1. المجال البحثي: التزم الباحث بشكلٍ رئيسي بما أورده ابن أبي الربيع في مخطوطه الموسوم "سلوك المالك في تدبير الممالك" عن أسس تخطيط المدينة العربية الإسلامية، مع إشارات موجزة إلى ما أورده علماء مسلمون آخرون (في عصور متفاوتة) عن هذه الأسس التي تتشابه إلى حدّ كبير مع ما جاء به ابن أبي الربيع.
2. المجال التاريخي (الزمني): يتمثّل بالدرجة الأولى في الفترة الزمنية التي عاشها ابن أبي الربيع، ومع اختلاف

- كما تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:
1. التعرف على أهم العلماء العرب والمسلمين الذين اهتموا في تخطيط العمران، وفي مقدّمهم ابن أبي الربيع.
 2. الإطّلاع على شروط اختيار مواقع المدن العربية الإسلامية.
 3. الإطّلاع إلى شروط تخطيط مواضع المدن العربية الإسلامية.
 4. التعرف إلى الأدبيات التي شكّلت منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط العمران.
 5. التعرف إلى بعض جوانب الشخصية التي امتازت بها المدينة العربية الإسلامية.
 6. الإطّلاع إلى آراء علماء الغرب في المدينة العربية الإسلامية.
 7. معرفة بعض المدن العربية الإسلامية التي تمّ تأسيسها ضمن منهجية الفكر الإسلامي.
 8. تضمين هذه الدراسة ببعض التوصيات التي يمكن أن تسهم إيجابياً في البناء النظري للمدينة العربية الإسلامية.

منهجية الدراسة

ولتحقيق الأهداف السابقة اتّبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي الذي يستند إلى مهارات ثلاث: التفسير، والنقد، والاستنباط، واستخدم الباحث هذه المهارات بنسبٍ متفاوتة في تحليل عناصر منهجية الفكر الإسلامي، وفي تحليل شروط اختيار مواقع المدن، وشروط تخطيط مواضع هذه المدن كما ذكرها ابن أبي الربيع في مخطوطه "سلوك المالك في تدبير المملك" (الأوراق 33 و34 من المخطوط).

الدراسات السابقة

تناولت دراسات عديدة مخطوط ابن أبي الربيع الموسوم: "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال" بعضها كان بالتحقيق أو التعليق، والبعض ذكر ابن الربيع ومخطوطه ذكراً عابراً في كتاب، والبعض الآخر جاء كمقال. أ. فَمِنْ الَّذِينَ قَامُوا بِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَخْطُوطِ:

1. حامد ربيع الذي قام بتحقيق وتعليق وترجمة المخطوط

اسم الكتاب: "سلوك المالك في تدبير الملوك على التمام والكمال". وهو مؤلفه الوحيد الذي تحتفظ به المكتبة الإسلامية لحد الآن، طُبِعَ في القاهرة سنة 1286هـ، على الحجر في 152 صفحة من القطع الكبير، ويرجّح الباحث العلماء الذين قالوا بأنّ لهذا العالم أعمالاً أخرى مفقودة، ويدل على ذلك عمق فكره الفلسفي السياسي، وإطلاعه الدقيق على أعمال غيره من العلماء، وهو كتاب مُشجّر، متنوّع في موضوعاته السياسية، والاجتماعية، والفلسفية، والرياضيات، وتخطيط المدن، التي تمّ عرضها بأسلوب تربوي وإطار إسلامي، كتاب يجمع طرُقاً من وصايا الحكماء والفلاسفة والسّير، ويؤجّز أقسام السياسات وأحكامها، ويبيّن أهم أركان الملُك وأوصاف البشر.

وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى أربعة فصول، وكل فصل مُقسّم إلى أبوابٍ ترتبّت فيها الأفكار أو الأحكام بشكل جداولٍ ومُشجّراتٍ بغاية الدقّة، والفصول هي:

- **الفصل الأول:** مقدمة، يبدأ الفصل بتذكير الإنسان أن يعلم ويعتقد بأن لهذا العالم صانعا، وإن أفضل جزء في العالم من هو ذو نفس، وأن أفضل ذوي الأنفس الذي له الاختيار والإرادة والحركة عن روية، وأفضل ذوي الإرادة والحركة عن روية، الذي له النظر البديع في العواقب، وهو الإنسان الفاضل، ويختم هذا الفصل ناصحاً بسياسة الناس بالدين القيم والسنة العادلة.

- **الفصل الثاني:** أحكام الأخلاق وأقسامها، ويبدأ به بتذكير الإنسان انه من بين سائر الحيوان ذو فكر وتمييز، ولهذا يجب أن يروض نفسه على مكارم الأخلاق.

- **الفصل الثالث:** أصناف السيرة العقلية وانتظامها، الواجب على الإنسان إتباعها والعمل بها، في إتباع طريق الفضيلة التي يحث عليها العقل، كما انه يعالج في هذا الفصل كثيراً من شؤون الهندسة والرياضيات والبلاغة.

- **الفصل الرابع:** أقسام السياسات وأحكامها، وذكر السبب الموجب لاتخاذ المدن التي تُقام ضمن شروط محددة، والداعي إلى إقامة السياسة في العالم، ثم يذكر أركان المملكة، وهي عنده أربعة أركان: الملك (الرئيس)، والرعية (الشعب)، والعدل (مبدأ العد وأجهزة العدالة)، والتدبير (السلطات التنفيذية).

العلماء في تحديد تلك الفترة، لكنها في المُحصّلة النهائية فترة عباسية، أي أنّها فترة الازدهار العلمي، وقمّة نضج الفكر الإسلامي، كما أشار الباحث إلى فترات زمنيّة مختلفة تمّ فيها تأسيس العديد من المدن العربية الإسلامية، ابتدأت مع بداية تكوين الدولة الإسلاميّة في المدينة المنورة، وانتهت في العهد العثماني.

3. **المجال الجغرافي (المكاني):** ويشمل بشكلٍ عامّ المدن العربية الإسلامية التي انتشرت في ربوع الدولة الإسلامية في أقصى اتساعها، وفي هذه الدراسة سيتم استخدام مصطلح: "المدينة العربية الإسلامية" بدلاً من "المدينة الإسلامية"، لانتساع المفهوم والدلالة أكثر في الحالة الأولى عنه في الحالة الثانية حسب قناعة الباحث التي يشترك فيها مع الدكتور المهندس وليد أحمد السيد⁽⁶⁾.

ولتحقيق أهداف الدراسة فقد بُنيت على أربعة محاور أساسية هي:

أولاً- التعريف بابن الربيع، وكتابه، وعصره.
ثانياً- دراسة موجزة لنظريات العلماء المسلمين عن المدينة (مفهومها، وأسس نشأتها).

ثالثاً- أسس تخطيط المدينة عند ابن الربيع.
رابعاً- نماذج تطبيقية لمدينة عربية إسلامية.
خامساً- النتائج والتوصيات.

وهذه دراسة لكل محور من المحاور السابقة بما يخدم أهداف الدراسة:

أولاً- التعريف بابن الربيع، وكتابه، وعصره:
1. **التعريف بابن الربيع:**

هو الشيخ الإمام والعالم الأديب العلامة أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، عاش ما بين 218هـ- 272 الموافق 833م-887، وهو يعتبر أول فيلسوف إسلامي في العصر العباسي الأول، ألف الكتاب للخليفة العباسي الثامن المعتصم بالله بن هارون الرشيد، خلف الخليفة المأمون، وكان شهاب الدين أديباً فصيحاً من رجال الخليفة المعروفين، ومن أرباب الحكمة والسياسة (الزركلي، 1992).

2. **التعريف بكتاب ابن أبي الربيع (ابن أبي الربيع، 272هـ، والتكريتي، 1983):**

هـ. لعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وُضع له الكتاب "المستعصم" (المتوفى سنة 656هـ/1258م) ففُرى المعتمصم.

أما ناجي التكريتي فيذكر أنّ الكتاب ألف للخليفة المُستعصم للأسباب التالية (1983):

1. ينطوي الكتاب على نضج فكري وفلسفي سياسي عميق يستبعد أن يكون قد جاء بعد الكندي والفارابي.

2. إنّ أسلوب كتابة ابن أبي الربيع متأثر بدرجة كبيرة (ويثبت التكريتي ذلك) بكتاب يحيى بن عدي المنوفي سنة 365 هج/ 975 م وقد نقل عنه ابن أبي الربيع أسلوب الجداول والتشجير، كما أن مقاطع عديدة من الكتاب تكاد تكون متماثلة مع مؤلف بن عدي.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنّ لهذا الكتاب قيمة فلسفية وسياسية كبيرة، سواء كُتب للمعتمصم (والباحث مع هذا الرأي)، أو للمستعصم، ورغم الفارق الزمني الكبير بين الفريقين (416 سنة ميلادية)، إلا أنّ ابن أبي الربيع عاش في الدولة العباسية، التي شهدت قمة الازدهار العلمي والثقافي والعمرائي، وعاش في العصر العباسي الأول التي تُعتبر الفترة الذهبية في الحضارة العربية الإسلامية، وهذا هو سرّ إجماع العلماء بأن كتاب ابن أبي الربيع هو من أفضل النصوص الفلسفية العربية الإسلامية في إنجازات الفلاسفة العرب، وأن مؤلفه من خيرة العلماء الذين اشتغلوا في الفلسفة السياسية (1983).

ثانياً- دراسة موجزة لنظريات العلماء العرب المسلمين عن المدينة (مفهومها، وأسس نشأتها).

تتضمن كتب تاريخ الاجتماع السياسي عادة على أبواب خاصة بالعمران، تُوضّح الأسس والنظريات التي يجب على الحاكم المسلم إتباعها فيما يختصّ بسياسة العمران، وكانت هذه المصادر من وضع علماء على دراية واسعة بحياة المجتمع والمتغيرات التي تواجبها، وهذه المؤلفات كان يكتبها أصحابها من فترة إلى أخرى، جزئاً منهم على النهوض بالمجتمع، وتقويماً لسياسة الحاكم برسم المنهج الصحيح الذي يجب إتباعه، ومن هذه المصادر (عثمان، 1988):

- مخطوط العلامة ابن أبي الربيع "سلوك المالك في تدبير

يذكر ابن أبي الربيع أن سببين دفعاه على تأليف الكتاب، الأول: انه وقف على كتاب مشجر في حفظ صحة البدن مختصر، ذكر فيه أن النفس اشرف من البدن، فرأى إصلاح أخلاق النفس وتزكيتها بالعلم، والسبب الثاني: انه أطاع من أشار إليه بذلك من ذوي المقام الرفيع.

3. عصر ابن أبي الربيع:

اختلف كثير من الدارسين حول شهاب الدين بن أبي الربيع، فقد اختلفوا على وجه الخصوص في الحقبة الزمنية التي عاش فيها وانقسموا إلى فريقين:

1. منهم من يقول إنه عاش في زمن الخليفة العباسي المعتمصم (الخليفة الثامن) وله ألف كتابه "سيرة المالك في تدبير الممالك"، ومن هؤلاء: حاجي خليفة (1942)، وإسماعيل البغدادي (1957)، وحامد ربيع (1980)، ويوسف إيلان سركيس (1928)، وعمر رضا كحالة (1957)، والزركلي (1992)، وعبدالعزیز بن فهد آل سعود (2010)، ويقول هذا الفريق بأن ابن الربيع أشار صراحة في بداية كتابه أنه ألفه للخليفة المعتمصم (المتوفى سنة 227هـ/ 842 م).

2. بينما يرى الفريق الثاني (وهو أقل عدداً) أنه عاش في زمن الخليفة المستعصم (الخليفة الثامن والثلاثين)، ولهذا الخليفة ألف الكتاب، ويتبنّى هذا الرأي كلاً من: جرجي زيدان، وناجي التكريتي، ويذكر جرجي زيدان مجموعة من المبررات التي تؤيد ذلك وهي (1911):

أ. إن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على أنه وُضع بعد ذلك، لأنه رُتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح في الأفكار في ذهن مؤلفه، مما لا يتأتى إلا بعد نُضج العلم تماماً.

ب. إن اسم شهاب الدين لم يكن معروفاً زمن المعتمصم، وإنما هو ممّا طرأ على الإسلام بعد رسوخ الأتراك في الدولة.

ج. كتاب الفهرست الذي كُتب عام 377هـ لم يذكر المؤلف ولا اسم الكتاب.

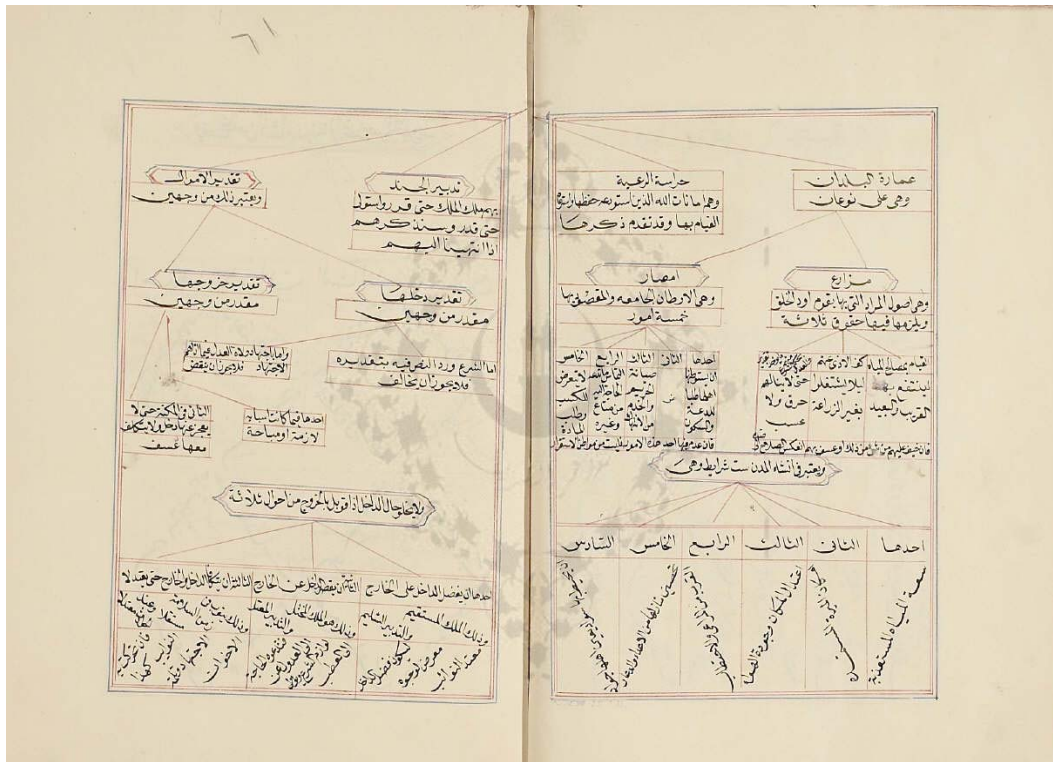
د. لم يرد في تاريخ ابن الأثير اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة، ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لأحوال اجتماعية خاصة بها.

- الممالك"، وكتبه للخليفة المعتصم العباسي.
- كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي.
- كتاب "السياسة" لابن حزم.
- كتاب "الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لابن رضوان.
- مُقدّمة ابن خلدون.
- كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق" وجميع هذه المصادر اعتبرت "تكتيثر العمارة" من أركان المُلك، بل لأنّ بعضها أشار تحديداً إلى أنّ الركن الخامس بعد: تنصيب الوزير، وإقامة الشريعة، وإعداد الجُند، وحفظ المال (ابن الأزرق، 1977).
- إنّ ظهور الإسلام كقوةٍ سياسيّةٍ جديدةٍ على خريطة العالم كان له أثره الواضح في ظهور مدن إسلامية كانت بمثابة مراكز حضاريّة حملت لواء الحضارة بعد روما (عثمان، 1988).
- وتمثّل هذه المدن المستوى التّطبيقي لتكتيثر العمارة، ويدل على ذلك قول الخليفة العباسي المتوكّل الذي قال بعد بنائه المتوكّلية "الآن علمتُ أنّي ملك إذ بنيتُ لنفسي مدينةً سكنتها" (اليقوي، 1861، الطبري، 1879)، وقد اهتم الحكام المسلمون بالعمارة والعمران ومشاركتهم المباشرة في اختيار مواقع المدن ومتابعة عمليات تخطيطها وإنشائها، وأوضح مثال على ذلك ما فعله الخليفة المنصور عندما أنشأ مدينة بغداد (اليقوي، 1861).
- وصنّف الجغرافيون العرب المدن حسب هيئتها ونوعية النشاط الغالب عليها، فهناك المدينة الحصن، والمدينة التجارية (ناجي، 1984)، وتُشكّل بعض التعريفات اللغويّة للمدينة، والتي ذكرها بعض العلماء العرب والمسلمين إشارات واضحة في تحديد كيانها المادي والاجتماعي، ومع اتّساع رقعة الدولة الإسلاميّة عبر قرونٍ عديدةٍ بدأت تستمدّ المدينة العربيّة الإسلاميّة رؤيتها من الفقه الإسلامي ومن السياسة الشرعيّة المُستمدة من الكتاب والسنة، ونعرض هنا لأقوال بعض المشاهير من العلماء العرب والمسلمين عن المدينة كمفهومٍ وأهميّةٍ، أو اختيار موقع، أو تخطيط موضع:
- يقول المقدسي عن المدينة "هو كل بلدٍ جامعٍ تُقام فيه الحدود، ويحلّه أمير ويقوم بنفقته، ويجمع رستاقيه" (1906:47).
- يقول الفيروزآبادي "المدينة تُعادل الأمة" (1298هـ:195)
- المدينة عند ابن منظور هي: الحصن يُبنى في أصطمة من الأرض، وكلّ أرضٍ يُبنى عليها حصن في اصطمتها هي مدينة (1970:288).
- يقول ابن حزم في مفهوم المدينة وتكتيثر العمارة: "يأخذ السلطان الناس بالتجارة وكثرة الغراس، بقطعهم الاقطاعات في الأرض الموات، ويجعل لكل واحدٍ مُلك ما عمّر، ويعينه على ذلك لترخص الأسعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأمر، ويكثر الأغنياء، وما يجب فيه الزكاة (1965:344).
- قدامة بن جعفر ومن رؤية اجتماعيّة نفسيّة يكشف عن جانبٍ آخر من المعايير التي تبيّن السبب في نشأة المدن فيذكر ضرورة وجود تجمّع سكاني وطبقاتٍ عديدةٍ مختلفةٍ في الصناعات والمهن (1981:432).
- أمّا القزويني فيشير إلى ذلك قائلاً: "لو اجتمع البشر في صحراء لتأدّوا بالحرّ والبرد والمطر والريح، ولو تسنّروا في الخيام لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصرنا على الحيطان والأبواب كما ترى في القرى التي لا سور لها، لم يأمنوا صولة ذي بأس، فأكرمهم الله تعالى باتّخاذ السور والخندق، فحدثت المدن والأمصار، واتخذوا للمدن سوراً حصيناً، وللسور أبواباً عدّة حتّى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج، واتخذوا لها قهندازاً (أي قلعة) لمكان ملك المدينة، وفي البلاد الإسلاميّة المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات (1984:8)".
- ثالثاً- أسس تخطيط المدينة عند ابن الربيع**
- يشير ابن أبي الربيع في مخطوطه الشهير إلى مجموعة من الشروط أو المبادئ التخطيطية التي يقول أنه استخلصها من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أثناء بنائهم عاصمة الإسلام الأولى (المدينة المنورة)، والمدن العربيّة الإسلاميّة المبكرة (البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان).
- هذه الشروط ذكرها ابن أبي الربيع في الفصل الرابع من مخطوطه الشهير، وتحت الركن الرابع من أركان المملكة وهو التدبير (الملاحق أرقام 1 و2)⁽⁷⁾، هذه المبادئ أو الشروط التي

يجب أن يراعيها الحاكم (السلطة) تنقسم إلى نوعين هما (آل سعود، 2010):

1. شروط اختيار مواقع المدن: يقول ابن أبي الربيع "وتعتبر في إنشاء المدن ستّ شرائط"، مما يؤكد عمق الإدراك بهذه المعايير والشروط التي تميز المواقع الصالحة لإنشاء المدن، وهي: (ابن أبي الربيع، ورقة 33ب من المخطوط- الملحق رقم 1 من هذا البحث):

ملحق رقم (1) شروط إنشاء المدن عند ابن أبي الربيع



المصدر: مخطوط ابن أبي الربيع 'سلوك المالك في تدبير الممالك، ورقة 33ب (ص 61).

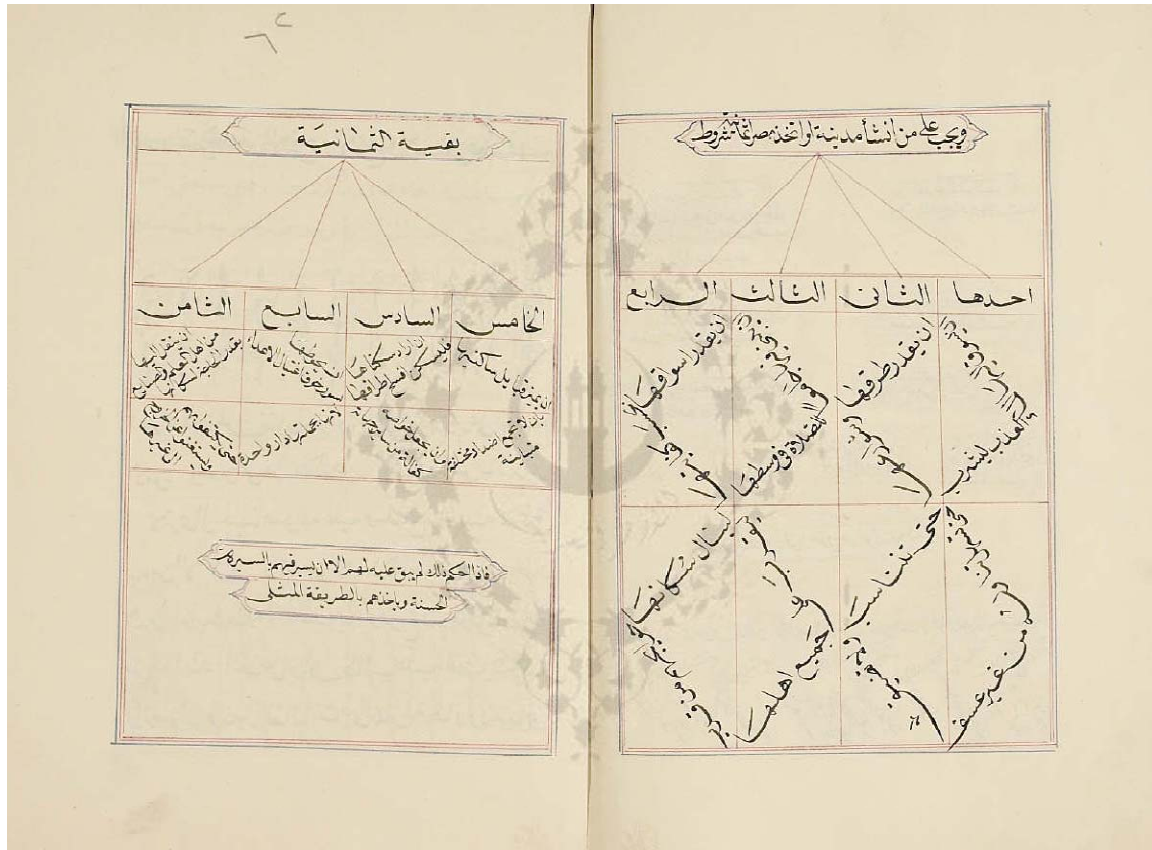
فالماء شرط أساسي في اختيار مواقع المدن، عليه تقوم الحياة، وسعة المياه نظرة مستقبلية لازدياد متوقع في عمران المدينة، أما توفير الغذاء فهو شرط أساسي لنشأة المدن واستمرار حياتها، فيكون موقعها مرتبط بالإقليم وبالطرق التجارية الرئيسية فينعكس ذلك على رخائها، ويؤكد شرط اعتدال المكان على أهمية المناخ والاعتبارات الصحية في

اختيار المسلمين لمواقع مدنهم، نظرا لأهمية التفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية. كما أنّ توفر الزرع والمرعى والوقود والغذاء والأخشاب اللازمة للبناء من مقومات ازدهار المدن لتأمين مصادرها واحتياجاتها الأولية، وعند اختيار موقع المدينة فلا بد من تحصينها بالمعالم الطبيعية الحاجزة التي تعين على دفع

ومن هذه الأسس ما ذكره ابن أبي الربيع في كتابه الشهير فهو يقول "ويجب على من أنشأ مدينة أو اتخذ مِصراً ثمانية شروط" وهي (ابن أبي الربيع، ورقة 34ب من المخطوط- الملحق رقم 2 من هذا البحث):

الأخطار (نهر مثلاً)، وزيادة على ذلك يجب إحاطتها بسور، زيادة في التحصين والحماية.
2. شروط تخطيط مواضع المدن: لقد نضجت كتابات علماء السياسة الشرعية في مجال عمران المدن، وحددوا الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاء أية مدينة،

ملحق رقم (2) شروط ما يجب على من أنشاء مدينة أو اتخذ مِصراً عند ابن أبي الربيع



المصدر: مخطوط ابن أبي الربيع "سلوك المالك في تدبير الممالك"، ورقة 34 ب (ص 62).

5. أن يُمَيِّز بين ساكنيها بأن لا يجمع بين أصدادٍ مختلفة ومتباينة.
6. إن أراد سُكْنَهَا فَلْيُسْكِن أَفْسَحَ أَطْرَافِهَا وَلْيَجْعَلْ خَوَاصِهِ كِفَالَهُ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِ.
7. أن يحوطها بسور خوفاً من اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دارٌ واحدة.

1. أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب ويسهل تناوله من غير عذف.
2. أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.
3. أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.
4. أن يُقَدِّرَ أسواقها حتى ينال سكانها حوائجهم عن قُرب.

منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما حفر الخندق شمالي المدينة، ثم ظهرت الأسوار لتأمين المدينة ومركز سلطتها كما ظهر في العديد من المدن مثل: بغداد والقاهرة والمهدية وغيرها.

- أما عن الشرط الثامن فقد حضر إلى مدينة الفسطاط مثلاً علماء من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ الفتح العربي منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، أبي ذر الغفاري، وعقبة بن عامر وغيرهم، فأسسوا نواة الجامعة الإسلامية في مصر وإفريقيا، وكان التعليم يتم في حلقات للدرس داخل المساجد.

ومن دراسة متأنية لشروط ابن أبي الربيع السابقة نستنتج ما يأتي:

- يؤكد ابن أبي الربيع على مجموعة من المبادئ التي تشير إلى مبدأ الاستدامة Sustainable في بناء المدن مثل: (1) أن يسوق إليها الماء العذب (2) أن يقدر طرقها وشوارعها (3) أن يقدر أسواقها (4) أن يميز بين قبائل ساكنيها (5) أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها (النعيم، 2011).

- ومن الواضح أن أركان الاستدامة الثلاثة: "المجتمع" و"البيئة" و"الاقتصاد"، التي أوردها ابن أبي الربيع في شروطه تظهر هنا كأسس تخطيطية في بناء المدن العربية الإسلامية دون مبالغة، ودون إسراف، ودون تجاوز في البناء، فالمبدأ البيئي يذكركنا باختيار عمر بن الخطاب لموقع مدينة البصرة الذي ارتكز على مبدأ التوازن بين الصحراء والريف، فوجود المرعى كان أساساً في الاختيار من أجل تحقيق الاستقرار الاقتصادي لسكان المدينة من العرب الذين كانوا يحترفون الرعي، فالواجب هنا هو وجود ما يكفي سكان المدينة من النشاط الاقتصادي الذي يجعلهم يعيشون في استقرار دون مبالغة ودون تحويل المدينة إلى "مشروع تجاري" كما نشاهده هذه الأيام، حيث ينتفي الهدف من بناء المدينة التي وجدت في الأصل من أجل الحياة وليس من أجل التجارة.

- مع نشأة المدن العربية الإسلامية شكّلت ثلاثة شروط منها محاور رئيسة (التي احتلت مركز المدينة) أثرت على بقية العناصر الأخرى وهي: المسجد الجامع، السوق، ودار

8. أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بها ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها. يتضح من كلام ابن أبي الربيع مدى الفهم المقرون بالتحليل المنطقي في أسس إنشاء المدن:

- ففي سؤق المياه للمدينة للشرب، لتسهيل مهمة الحصول عليه "دون عسف"، دليل على وصول المخطط الحضري إلى مرحلة الحرية في اختيار الموقع المدني، متخطياً ما يسمى بالاحتمية الطبيعية (Determinism)، التي تُحتم على المخطط أن يبني مدنه بالقرب من وديان الأنهار، والمواقع ذات الثروات الطبيعية، فابن أبي الربيع يشترط على الحاكم لعمارة المدينة التي قد يكون موقعها بعيداً عن مصادر المياه، أن يجلب الماء إليها، وهو ما حدث فعلاً في العديد من المدن الإسلامية، فقد جلب المسلمون الماء إلى مدينة مدريد من تلال بها مياه جوفية، تبعد عن المدينة بما يتراوح عشرة كيلومترات، وذلك في قنوات تجري بها المياه في انحدار متدرج، يسمح بجريان الماء إلى المدينة.

- تقدير الشوارع مطلوب حتى تتناسب مع حركة المرور وكثافتها، ولا تضيق بهذه الحركة أو تلك الكثافة.

- أمّا المسجد الجامع فهو أول ما يُبنى ويختط من تكوينات معمارية في عمارة المدينة العربية الإسلامية وهو من وجهة نظر الفقه من المميزات الحضرية للمدينة.

- السوق من الموافق الأساسية العامة في المدن، وقد كان الرسول حريصاً على إنشاء سوق المدينة.

- أمّا عن السكان فقد أكد ابن أبي الربيع على هذا الشرط بسبب مشكلة صراع الأجناس التي كانت قائمة في عهد الخليفة المعتصم في بغداد وقت كتابة هذا الكتاب، وخاصة عندما أهمل الجنسين العربي والفارسي وزاد الاهتمام بالأتراك، كما إن الإسلام جاء للمساواة بين الأجناس وذلك تمهيداً لتذويب التعصب القبلي المغرض .

- أما عن الشرط السادس، فيرى ابن أبي الربيع أن يسكن الحاكم أفسح أطراف المدينة، نظراً لتغيير نظام الحكم من الشورى إلى الملكي منذ عهد الدولة الأموية، ولذا انتقل موقع دار الإمارة من مركز المدينة (كما كان سابقاً) إلى أطرافها.

- بدأ إنشاء الخنادق والأسوار في المدن العربية الإسلامية

1. **مدينة البصرة:** التي تأسست سنة 15هـ/635م على يد عتبة بن غزوان ثم تطورت في هيكلها المعماري على يد أبو موسى الأشعري فبنى المسجد ودار الأمانة، وحفر المياه لتزويدها به. ثم جاء عبد الله بن عامر وشجع العمران ومنح الاقطاعات واتخذ الأسواق وأصبحت ذات مركز إداري. ثم جاء زياد بن أبيه وعمل على إعادة تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها الطبوغرافية والسكنية وشجع إنشاء الوحدات المعمارية وبنى مدينة الرزق، وأسس الأسواق
2. **مدينة الكوفة:** أنشئت سنة 17هـ/637م على يد سعد بن أبي وقاص. كمعسكر حربي بعد إذن الخليفة الفاروق. ووفقاً لتوجيهاته التخطيطية حيث حددت الشوارع الرئيسية والفرعية والأزقة واتخذت الخطط وبنى المسجد والسوق ودار الأمانة.
3. **مدينة الفسطاط:** أنشئت سنة 21هـ/641م على يد عمرو بن العاص الذي أمره الفاروق أن يبني مدينة لا يفصلها عنه ماء وأنشأ المسجد واتخذت خطط القبائل حيث بلغت 47 خطة عند إنشائها فقد قامت على أساس القبيلة باعتبارها هيئة مؤسسية قائمة ولم تجمع الأضداد المختلفة اجتماعياً معاً. وبعد أن انتشر الإسلام وازداد عدد المسلمين أصبح الموالي جزء من نسيج المجتمع وتكوينه وكانت لهم مناشط واسعة.
4. **مدينة القيروان:** يعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ/670م، قام بإنشائها عقبة بن نافع، وبنى فيه مسجداً يحمل اسمه إلى الآن، ويعتبر إنشاء المدينة بدايةً لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي، وقد راعى عقبة في اختياره لموقع مدينته الجديدة تقربها من السبخة حتى يوفر ما تحتاجه الإبل من المراعي
5. **مدينة واسط:** بناها الحجاج سنة 75هـ/695م فاتخذ المسجد، وبنى القصر، والصور وحفر الخندق، وأنزل أصحاب الحرف والصناع إلى تلك المدينة، واتخذ القصر بجوار المسجد وسط المدينة دلالة على اتخاذ القصور الفخمة كمراكز إدارية.
6. **مدينة فاس:** أسست مدينة فاس 182هـ/798 على يد إدريس الثاني وعلى نهر فاس وكانت عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب، وكدليل على أهمية موقعها وعراقه تاريخها وبما يُسمى استدامة المدن: تنقسم فاس إلى 3 أقسام، فاس البالي وهي المدينة القديمة، وفاس الجديد وقد بنيت في القرن الثالث

الأمانة، وذلك للتكامل الوظيفي فيما بينها، وأصبح هذا هو تخطيط تقليدي لكافة المدن آنذاك⁽⁸⁾

- من الواضح هنا أن دور السلطة مركزي وأساسي في التخطيط للمدينة وحماتها وضمان استمرار "المعاش" أو الاقتصاد فيها، وهو تخطيط عمراني مادي، وتخطيط اجتماعي، وتخطيط أممي، وتخطيط اقتصادي، وتخطيط بيئي، ولا يمكن أن نتصور المدينة دون وجود من ينظمها ويرعي مصالح سكانها، وقد أثبت التاريخ أن كل مدينة تفقد سلطاتها تتراجع وتندثر، وتكون عرضة لمطامع الأعداء، ويهجرها أهلها، ولعل هذا ضد مبدأ العمران على الإطلاق، وقد أكد ابن أبي الربيع هذا في مخطوطه عندما ختم كلامه عن الشروط السابقة بالعبارة التالية: "فإذا أحكم ذلك (أي التزم بالشروط أعلاه) لم يبقَ عليه (يقصد الملك أو الحاكم) لهم إلا أن يسير فيهم (أي سكان المدينة) بالسيرة الحسنة ويأخذهم بالطريق المتلى (آل سعود، 2010)".

رابعاً- نماذج تطبيقية لمدن عربية إسلامية⁽⁹⁾

اتخذت المدينة العربية الإسلامية نموذجاً ومنهجاً في تكويناتها العمرانية تتوافق تماماً مع الشروط التي أشار إليها ابن أبي الربيع عند اختيار موقع وموضع المدينة، وقد ساهمت هذه الشروط إضافةً إلى الأسس التي أشار إليها المهتمون من العلماء العرب والمسلمين (قبله وبعده) في تكوين منهجية طُبقت على العشرات من المدن التي نشأت وأطلق عليها مدن الهجرة بدايةً، ومدن الأمصار فيما بعد وأصبحت قواعد عسكرية ومدنية، ثم ازدهرت وتطوّرت وأصبح العديد منها عواصم إقليمية، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ابن الربيع استخلص هذه الشروط من وصايا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين أثناء بنائهم عاصمة الإسلام الأولى (المدينة المنورة) والمدن العربية الإسلامية التي تم تأسيسها مع بدايات قيام الدولة الإسلامية (أي قبل ولادته بأكثر من قرنين)، وقد أصبحت الشروط التي جاء بها هذا العالم من المتطلبات الأساسية والواجبة على الحاكم لتطبيقها عن اختيار مواقع وتخطيط مواضع المدن العربية الإسلامية، كما نلاحظ من النماذج التطبيقية للمدن العربية الإسلامية الآتية:

وأجمل مساجد البوسنة، وهي عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك حالياً وأكبر مدنها (لاحظ عنصر الاستدامة للمدينة).

خامساً- النتائج والتوصيات

بعد دراسة أسس تخطيط المدينة العربية الإسلامية عند العديد من العلماء العرب والمسلمين بشكل عام، وعند ابن أبي الربيع بشكل خاص توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

النتائج

1. كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك" جزيل الفائدة وهو متنوع في موضوعاته، فهو يبحث في السياسة، والاجتماع، والفلسفة، والطبيعية، والرياضيات، وتخطيط المدن، وهذا ما دعا بعض العلماء العرب المعاصرين بوصف ابن أبي الربيع بأنه رائد الفكر السياسي الإسلامي الأول⁽⁵⁴⁾.
2. ذكر ابن أبي الربيع بأن شروط تخطيط المدينة التي يجب على الحاكم إتباعها هي مجموعة من المبادئ التخطيطية التي استخلصها من وصايا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين أثناء بنائهم عاصمة الإسلام الأولى (المدينة المنورة) والمدن العربية الإسلامية المبكرة (البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان).
3. تتمثل شروط اختيار مواقع المدن عند ابن أبي الربيع بـ: سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميرة المستمدة، واعتدال المكان وجودة الهواء، والقرب من المرعى والاحتطاب، وتحصين منازلها من الأعداء والدُّعَار، وأن يحيط بها سور يعين أهلها .
4. يذكر ابن أبي الربيع ثمانية شروط واجبة على من يريد أن يُخطط لموضع مدينة وهي: أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب ويسهل تناوله من غير عِزْف، وأن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، وأن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليقترب على جميع أهلها، وأن يُقدَّر أسواقها حتى ينال سكانها حوائجهم عن قُرب، وأن يُمَيِّز بين ساكنيها بأن لا يجمع بين أصدقاءٍ مختلفة ومتباينة، وإن أراد سُكَّانها قَلْيَسْكن أفسح أطرافها وليجعل خواصه

عشر الميلادي، والمدينة الجديدة التي بناها الفرنسيون إبان فترة الاستعمار الفرنسي، حيث احتفلت المدينة سنة 2008 بعيد ميلادها الـ1200.

7. مدينة المهديّة: بناها عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين واليه تنتسب، وكان ابتداء بنائه لها سنة 303هـ/890 وجعلها دار مملكته لموقعها الجغرافي المميز، فهي تطل على البحر من ثلاث جهات جعلت من المدينة حصناً منيعاً قادراً على التصدي للغزوات الخارجية وجعلتها مركزاً تجارياً هاماً بالحوض المتوسط، وأول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها، ثم أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجراً صلباً، فنقره نقرًا وجعله حصناً لمراكبه الحربية، ثم ابتنى "دار الصناعة" وهي من عجائب الدنيا، ثم شرع في حفر الأهرام بداخل المدينة، وبنى الجباب والمصانع، واختزن الأهرام بالطعام، وملا الجباب (جمع جب) بالماء.

8. مدينة القاهرة: عندما سيطر الفاطميون على مقاليد الحكم في مصر عام 359هـ، 970م بنى القائد جوهر الصقلي هذه المدينة شمالي أول موقع استقر فيه العرب وهو الفسطاط قريباً من نهر النيل لتكون عاصمة للبلاد، وشيد الفاطميون فيها الجامع الأزهر الشريف الذي أصبح أمل الراغبين في دراسة العلوم الإسلامية من كافة دول العالم الإسلامي، وصفها كثير من المؤرخين بأنها مدينة السحر الشرقي أو جوهرة الشرق لجمالها وعراقتها.

9. مدينة مراكش: بناها الإمام يوسف سنة 452هـ/1062م وصفت مراكش بأنها المدينة الحمراء، الفسيحة الأرجاء، الجامعة بين حر وظل ظليل وتلج ونخيل، عاصمة دولة المرابطين والموحدين والسعديين، قال فيها صاحب وفيات الأعيان: مراكش مدينة عظيمة وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها، فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، بسيطة الساحة ومستطيلة المساحة، كثيرة المساجد، عظيمة المشاهد، جمعت بين عذوبة الماء، واعتدال الهواء، وطيب التربة، وحسن الثمرة، وسعة الحرث، وعظيم بركته.

10. مدينة سراييفو: أسسها الغازي خسرو بك، الذي شغل منصب والي منطقة البوسنة من 1521م (945هـ) حتى 1541، تقع على نهر ميلجاكا وهي محاطة بجبال الألب الدنيارية، بُني فيها مسجد يحمل اسمه، ويعتبر من أكبر

جسماً واحداً تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بالجوانب العمرانية، ومن الصعب فصل جانب منها عن الآخر حيث أن الجوانب الثلاثة هي المكونات الأساسية للمدينة.

9. وفي ظل الحكم الإسلامي العادل تشكلت منهجية لتخطيط المدينة العربية الإسلامية استمدت عناصرها من العقيدة الإسلامية (الكتاب والسنة) ومن مصادر التشريع الإسلامي، وقيم الفكر الإسلامي، ونتيجة لذلك تأسست وازدهرت مدناً تاريخية عديدة كالكوفة، وحلب، والبصرة، وبغداد، ودمشق، والقاهرة، والفسطاط، والقيروان وغيرها، كما أجدت الحضارة الإسلامية مدناً متحفية تُعبر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها، ودمشق والقاهرة بعمارتها الإسلامية، وحلب، وبخارى وغيرها.

التوصيات

- يُوصي الباحث من خلال هذه الدراسة بما يأتي:
1. الاهتمام بدراسة التراث الجغرافي وكل ما يتعلّق به من مخطوطات، وأجهزة، وخرائط، ورحلات، قام بها الجغرافيون العرب والمسلمون، وذلك لإبراز الدور العربي الإسلامي في الحضارة الإنسانية، وهذا دور يقع على عاتق الأقسام الأكاديمية في مختلف الجامعات العربية والإسلامية.
 2. يمكن للمعماريين العرب والمسلمين الاستفادة من أدبيات العمارة البيئية في المدينة العربية الإسلامية من حيث: المادة الخام، المخططات المعمارية للمباني والمنشآت العامة، وإدخالها في التصاميم المعمارية للمدن الحالية، والعودة ما أمكن إلى العمارة الخضراء Green Architecture التي تُساهم استدامة المدينة، وتحسين نوعية الحياة لسكانها.
 3. إجراء دراسات تحليلية لموضوعات هامة تضمّنّها مخطوط ابن أبي الربيع وهي:
 - أ. القوى المتحركة في النفس البشرية وموضعها وخصائصها عند ابن أبي الربيع.
 - ب. الأخلاق ودرجات التعامل عند ابن أبي الربيع.
 - ج. الفضائل والزّائل عند ابن أبي الربيع.

- كفأله من سائر جهاته، وأن يحوطها بسور خوفاً من اغتيال الأعداء لأنها بجمالها دارٌ واحدة.
5. تكشف الشروط التي أشار إليها ابن أبي الربيع (شروط اختيار موقع المدينة، وشروط تخطيط موضعها) عن رؤية تخطيطية عملية للمدينة العربية الإسلامية اهتمت بالجوانب الوظيفية والاجتماعية والسياسية لمجتمعها، بما يؤكد أصالة هذه المدينة، وعمق الفكر الإسلامي ورؤيته السليمة في تخطيط المدن، وهو فكر تبلور واتضح مع تقدّم العصر، مصدره في ذلك السياسة الشرعية، والتجربة، والمعاشة.
6. يؤكد ابن أبي الربيع من خلال الشروط التي اختارها لموقع وموضع المدينة على مجموعة من المبادئ التي تشير إلى مبدأ الاستدامة في بناء المدن، هذا المبدأ الوسطي الذي يعتمد على الأخلاق، والقيم، والسلوك اليومي للأفراد والجماعات للوصول إلى مبدأ التوازن على المستوى البيئي، والاجتماعي والاقتصادي، حيث أنّ مبدأ الاستدامة في الإسلام هو جزء من الحياة اليومية، فالجانب الوسطي العملي والأخلاقي والنظام والتوازن الكوني الذي طلب منا الله سبحانه وتعالى تأمله والتعلّم منه يشكلان فكرة الاستدامة بجانبها النظري والتطبيقي.
7. تتمثل منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية بشكل عام، وعند ابن أبي الربيع بشكل خاص بمقدار التناغم والتوافق بين المضمون الاجتماعي أو الإسلامي لسكان المدينة وملامحها العمرانية والمعمارية، كأساس للبحث عن المضامين الإسلامية، التي يمكن اعتبارها أساساً لنظرية تخطيط المدينة الإسلامية، والمضامين الإسلامية هنا تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تحددها العقيدة الإسلامية، وهذه المدن بمفهومها العقائدي تُعبر عن الحياة اليومية للمجتمع الذي تغلغل فيه الإسلام كدين وعقيدة في كل عناصر حياته المادية والمعنوية، فنظام الحياة الإسلامية هو في حقيقة الأمر نظام كلي يشمل كل أسباب الحياة اليومية على المستوى العام والخاص لكل السكان.
8. للمدينة عند ابن أبي الربيع دلالاتها الجغرافية كما لها دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية، والمدينة بذلك تصبح

عاصمة ومدينة كأعضاء عاملين من 54 دولة عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي ومن مختلف قارات العالم.

5. وأخيراً أشارك الدكتور عبدالكريم بكار (2011) بتوصية أخذتها من أقواله وهي: علينا أن نوظف تراثنا التربوي في إصلاح أوضاعنا التعليمية، لأن الأمة التي تعجز عن الانتفاع بتراثها ستكون أشد عجزاً عن الانتفاع بتراث الآخرين.

السلطان الأكبر - المقدمة، ط3، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص838-839.

ابن الأزرقي، أبو عبدالله (1977)، بدائع السلك في طبائع الملوك، ج1، تحقيق د. محمد عبدالكريم، القاهرة، الدار العربية للكتاب، ص764-765.

(4) لم يغفل ابن أبي الربيع البدايات الأولى التي تعتبر الأصل في تكوين هذا الإنسان، ألا وهي التربية والتعليم، يقول شهاب الدين بن أبي الربيع "أما الولد فينبغي أن يؤخذ بالأدب من صغره كما أشار إلى الفروق الفردية عند المعلمين وعدد أصنافهم، وللمزيد: أمختاري، سعيد (2013) الفكر التربوي عند شهاب الدين بن أبي الربيع، على موقع الألوكة الثقافية:

<http://www.alukah.net/culture/10963/63483/#ixzz30TmbJSVQ>

(5) للمزيد انظر: الدباغ، ضرغام (2009)، العالم العربي ابن أبي الربيع، مقال على موقع رابطة أدباء الشام

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=70525>

(6) الدكتور المهندس وليد أحمد السيد - دكتوراه في فلسفة العمارة من جامعة لندن، وهو باحث معماري، ومؤسس مجموعة لونارد ودار معمار بلندن، لا يعترف بتسمية "المدينة الإسلامية" ويستخدم بدلاً منها "المدينة العربية الإسلامية".

وهذا المقال هو جزء من فصل في كتاب قادم للكاتب هذا العام بعنوان (قراءات فلسفية في عمارة المجتمعات العربية بين التراث والحداثة، وللمزيد عن هذا أنظر:

السيد، وليد أحمد (2010) قراءة نقدية للدراسات التقليدية في المدينة العربية الإسلامية: إشكالية المصطلح. على الموقع:

<http://www.araburban.net/urban-planning/1257-1>

(7) ويكون "التدبير" كما يذكر ابن الربيع على أربعة قواعد أولها: عمارة البلدان، وهي نوعان مزارع، وأمصار، والمزارع هي

د. السيرة العقلية عند ابن أبي الربيع.

هـ. أركان المملكة عند ابن أبي الربيع.

4. الحفاظ على ما تبقى من التراث المعماري العربي الإسلامي الأصيل في العديد من المدن العربية الإسلامية، وهذه مسؤولية تقع على عاتق الدول والمنظمات في العالمين العربي والإسلامي، وفي مقدمتها: منظمة المدن العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة العواصم والمدن الإسلامية التي تضم في عضويتها أكثر من 145

الهوامش

(1) ركزت "جانيت أبو لغد" على قدرة الإسلام بإلغاء التمييز الطبقي والثقافي الأمر الذي نتج عنه تقليل الفوارق بين الجماعات المختلفة، وتوصلت إلى ذلك بعد دراستها لنماذج من المدن الإسلامية، وذكرت بأن هذه المدن كانت تسير وفق قانون إسلامي يحدد تفاصيل الحياة لهذه المدن شكلاً ومضموناً، وللمزيد أنظر:

Abu Lughod, J. (1969). Varieties of Urban Experiences: Contrast, Co-existence and Coalescence in Cairo. in Labidus, 1 (ed) Middle Eastern Cities, Los Angeles.

(2) لقد نال موضوع دراسة المدن العربية الإسلامية اهتماماً واسعاً عند المستشرقين منذ بدايات القرن العشرين، ولا يخفى بأن الدوافع السياسية كانت وراء هذا الهجوم (وخاصة العلماء الفرنسيين)، وذلك لأنهم حصروا دراساتهم في رقعة جغرافية شغلت اهتماماتهم تمثلت في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام (سوريا تحديداً) ومن هؤلاء: لامانس، وبلاشير، وسوفاجيه، ودوزي، ونولدكه، وشاخت، وبروكلمان وعشرا آخرين، وللإطلاع أكثر عن هذا الموضوع انظر: التكريتي، ناجي (1981)، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية - دراسة نقدية مقارنة، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الجاحظ، بغداد، ص136-170.

(3) ذكر كلاً من ابن خلدون وابن الأزرقي بأنه لا بد عند إنشاء المدينة من مراعاة أمرين مهمين: دفع المضار، وجلب المنافع.

لمعرفة المزيد عن أفكار كلاً من ابن خلدون وابن الأزرقي عن شروط تأسيس واختيار مواقع المدن وتخطيط مواضعها انظر:

- ابن خلدون، عبدالرحمن (1979)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

- آل سعود، عبدالعزيز، مرجع سابق، ص151.
(8) للتعرف أكثر على المكونات العمرانية في تخطيط المدينة العربية الإسلامية انظر: <http://www.startimes.com/?t=23047674>
(9) هناك العديد من المصادر والمراجع عن المدن العربية الإسلامية أنظر مثلاً: - شامي، يحي (1993) موسوعة المدن العربية والإسلامية، ط1، بيروت، دار الفكر العربي.
- أبو حجر، أمنة (2002)، موسوعة المدن العربية، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع. - <http://ar.wikipedia.org/wiki>

تدبير الممالك - تحقيق ودراسة وتقديم، بيروت، دار النفائس، 173 صفحة.

آل سعود، عبدالعزيز بن فهد (2010)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تحقيق، ط1، دار العاذرية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 207 صفحة.

السيد، وليد (2010)، **قراءة نقدية للدراسات التقليدية في المدينة العربية الإسلامية: إشكالية المصطلح**. على الموقع: شبكة التخطيط العمراني <http://www.arurban.net/urban-planning/1257-1>

الطبري، أبو جعفر (1879)، **تاريخ الأمم والملوك**، ج8، ط4، القاهرة، دار المعارف.

الفيروز آبادي، محمد (1344هـ)، **القاموس المحيط**، ج4، مصر، المطبعة الحسينية.

القزويني، زكريا (1984)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر.

المسعودي، أبو الحسن (1965)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج4، بيروت، المكتبة العصرية.

المقدسي، محمد (1991)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، القاهرة، مكتبة مدبولي.

أمختاري، سعيد (2013)، **الفكر التربوي عند شهاب الدين بن أبي الربيع**، على موقع: الألوكة الثقافية. <http://www.alukah.net/culture/10963/63483/#ixzz30TmbJSVQ>

النعيم، مشاري (2011)، **التوازن والوسطية، صحيفة الرياض**، السبت 9 رجب 1432هـ - 11 يونيو 2011، العدد 15692، ص24.

اليقوي، احمد (1861)، **البلدان**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

بكار، عبدالكريم (2011)، **صفحات في التعليم والنهوض**

أصول المواد التي تقوم أود الخلق، وأما الأمصار فهي الأوطان الجامعة المقصود بها خمسة أمور، أحدها أن يستقر فيها أهلها طلباً للدعم والسكون، والثاني حفظ الأموال فيها من الاستهلاك، والثالث صيانة الحريم والخدم من الانتهاك، والرابع التماس ما تدعو الحاجة إليه من متاع، والخامس لا يتعرض للكسب وطلب المادة، وقال: فإن عديم منها أحد هذه الأمور فليست من مواطن الاستقرار.
-المزيد انظر: - ابن أبي الربيع (1286هـ) "سلوك المالك في تدبير الممالك" ورقة 33ب من المخطوط، القاهرة.
(الملحق رقم 1 في البحث، ص23).

المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن أبي الربيع، شهاب الدين (1286هـ)، **سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال**، المخطوط (الأوراق 33ب و34ب)، القاهرة.

ابن الأزرقي، أبو عبدالله (1977)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، ج1، تحقيق د. محمد عبدالكريم، القاهرة، دار العربية للكتاب.

ابن خلدون، عبدالرحمن (1979)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من نوي السلطان الأكبر - المقدمة**، ط3، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

ابن منظور، محمد (1970)، **لسان العرب**، ج17، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

البغدادي، إسماعيل (1957)، **إيضاح المكنون في النيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج2، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

التكريتي، ناجي (1981)، **المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية - دراسة نقدية مقارنة، مجلة المورد**، المجلد التاسع، العدد الرابع، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، دار الجاحظ.

التكريتي، ناجي (1983)، **الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع**، مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 252 صفحة.

الدباغ، ضرغام (2009)، **العالم العربي ابن أبي الربيع**، مقال على موقع رابطة أدباء الشام:

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=70525>

الزركلي، خيرالدين (1992)، **الأعلام**، ج1، ط10، بيروت، دار العلم للملايين.

السحمراني، أسعد وعرموش، أحمد (2011)، **سلوك المالك في**

شرف، محمد (1990)، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
 عثمان، محمد (1988)، المدينة الإسلامية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم 128، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
 كحالة، عمر (1957)، معجم المؤلفين، ج2، ط1، دمشق، مؤسسة الرسالة.
 لومبارد، موريس (1998)، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبدالرحمن حميدة، ط1، دمشق، دار الفكر.
 ناجي، عبدالجبار (1984)، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية، مجلة المدن العربية، العدد15، السنة الثالثة، الكويت، منظمة المدن العربية.

بالشخصية، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ص136.
 جعفر، قدامة (1981)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد للنشر.
 خليفة، حاجي (1942)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق وتعليق محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، ج2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
 ربيع، حامد (1980)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق وتعليق وترجمة، القاهرة، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، 217 صفحة.
 زيدان، جرجي (1911)، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، القاهرة، دار الهلال.
 سركيس، يوسف (1928) معجم المطبوعات العربية والمغربية، القاهرة، مطبعة سركيس.

المراجع الأجنبية

Abu Lughod, J. 1969. Varieties of Urban Experiences: Contrast, Co-existence and Coalescence in Cairo. in Labidus, 1(ed) *Middle Eastern Cities*, Los Angeles, 8, 183.
 Benet, F. 1963. The Ideology of Islam Urbanization, in *International Journal of Comparative Sociology*, IV, 211-226.

Lombard, M. 1975. The Golden Age of Islam, translated by Joan Spenser, netherland, 119: 135.
 Sherwan, H.K. 1941. A Muslim Political Thinker of the Ninth Century A. D. Ibn Abi al-rabi, (*Islamic Culture*), Hyderabad, Deccan, 46-148.
<http://www.startimes.com/?t=23047674>,
<http://ar.wikipedia.org/wiki>

Methodology of Islamic thought in the Planning of Arab-Islamic City (Ibn Abi al-rabi Model)

*Khlaif Gharaybih**

ABSTRACT

Ibn Abi al-rabi' Arab-Muslim scientist of the Abbasid era, wrote his only book "*Solok Al-malik fe Tadbeer Al-mamalik Ala Altamam Walkamal*" to the Abbasid Caliph Al-Mu'tasim bi-'llah (227-218 AH / 833-842), A pedigree book, contains political, social, philosophical, mathematical, and urban planning topics presented in an Islamic framework.

This study aims to identify the methodology of Islamic thought in planning of Arab-Islamic city of Ibn Abi al-rabi', as one of the leading scientists who put the foundation of this methodology. it came in the fourth chapter of his book about the conditions of cities' locations (paper 33 b), and the terms of planning the cities' sites (paper 34 b).

The researcher uses analytical approach to study these conditions, and the extent of its proximity to the methodology of Islamic thought, through the study of sites and locations of some Arab-Islamic cities established in different periods of the Islamic State. The study came up with several findings certified the clear methodology in the planning of Arab-Islamic city, which was based on the application of the provisions of Islamic law in the establishment of the urban components of these cities. The study also included recommendations refeing to the importance of returning to this methodology in planning the cities today.

Keywords: Islamic Thought, city planning, Ibn abi al-rabi, Location, Site, Arabian Islamic City, the Sustainable.

* Ajloun Universal College, Al-Balqa Applied University.

Received on 11/5/2014 and Accepted for Publication on 11/9/2014.